

ماذا فعل يسوع؟

المحاضرة ٨: العشاء الأخير

أ.ر. سي. سرول

في مُحَاضَرَتِنَا السَّابِقَةِ تَكَلَّمْنَا عَن دُخُولِ يَسُوعَ الْإِنْتِصَارِيِّ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَتَكَلَّمْنَا عَن تَثْمِيمِ يَسُوعَ ثَلَاثَةَ مَرَاكِزَ مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ - مَرَاكِزَ التَّيِّ وَالْكَاهِنِ وَالْمَلِكِ. وَبِالطَّبْعِ، بِقَدْرِ مَا اسْتَقْبَلَتِ الْجُمُوعُ يَسُوعَ بِحِمَاسَةٍ، عَلَى التَّقْيِضِ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّ رُؤَسَاءَ الْمَجْمَعِ وَرِجَالَ الدِّينِ غَضِبُوا لَدَى دُخُولِ يَسُوعَ الْإِنْتِصَارِيِّ. وَنَبْدًا بِرُؤْيَا غُيُومِ الْعَاصِفَةِ تَتَكَافَأُ، وَسُرْعَانَ مَا يُصْبِحُ الْوَضْعُ مَشُورًا لِلْعَايَةِ.

سَأَتَطَرَّقُ قَلِيلًا إِلَى لُوقَا ٢٢، حَيْثُ نَقَرْنَا مَا يَلِي فِي الْآيَةِ الْأُولَى: "وَقَرَبَ عِيدِ الْفَطِيرِ، الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْفِصْحُ. وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يَقْتُلُونَهُ، لِأَنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْبَ". ثُمَّ يَتَابِعُ قَائِلًا: "فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ فِي يَهُوذَا الَّذِي يُدْعَى الْإِسْخَرِيُوطِيَّ، وَهُوَ مِنْ جُمَّلَةِ الْإِنْتِي عَشْرَ. فَمَضَى وَتَكَلَّمَ مَعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَادِ الْجُنْدِ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ إِلَيْهِمْ. فَفَرَحُوا وَعَاهَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً. فَوَاعَدَهُمْ، وَكَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً لِيَسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ خَلْوًا مِنْ جَمْعٍ".

إِذَا، نَعْلَمُ هُنَا أَنَّهُ بَيْنَمَا كَانَ يَتِمُّ الاسْتِعْدَادُ لِعِيدِ الْفَطِيرِ فِي عِيدِ الْفِصْحِ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِالذَّاتِ كَانَ الْقَادَةُ يَتَامَرُونَ لِلتَّخْلِصِ مِنْ يَسُوعَ. فَدَخَلُوا فِي صَفْقَةٍ مَعَ أَحَدِ الْإِنْتِي عَشْرَ، وَهُوَ يَهُوذَا الْإِسْخَرِيُوطِيَّ، لِكَيْ يُسَلِّمَهُ يَهُوذَا. أَثْنَاءَ حُدُوثِ ذَلِكَ كُلِّهِ هُنَا، فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، كَانَ يَسُوعُ يَقُومُ بِالاسْتِعْدَادَاتِ اللَّازِمَةِ لِلْإِحْتِفَالِ بِعِيدِ الْفِصْحِ مَعَ تَلَامِيذِهِ.

وَنَقَرْنَا فِي النَّصِّ: "وَجَاءَ يَوْمُ الْفَطِيرِ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُدْبَحَ فِيهِ الْفِصْحُ. فَأَرْسَلَ بُطْرُسَ وَبُوحَنَّا قَائِلًا: "اذْهَبَا وَأَعِدَا لَنَا الْفِصْحَ لِتَأْكُلِ". ثُمَّ يُخْبِرُ كَيْفِيَّةَ الْقِيَامِ بِتِلْكَ الاسْتِعْدَادَاتِ. وَجَاءَ فِي الْآيَةِ ١٤ "وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ اثْنَا عَشَرَ رَسُولًا مَعَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: "شَهْوَةٌ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي لَا أَكُلُ مِنْهُ بَعْدَ حَتَّى يُكْمَلَ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ". هُنَا نَلْحِظُ أَنَّ يَسُوعَ بَدَأَ بِالدُّخُولِ فِي مَا يُعْرَفُ بِالْأَمِيهِ. إِنَّهُ عَلَى دِرَايَةٍ بِمَقْتَلِهِ الْوَشِيكِ. إِنَّهُ يَعِي أَنَّهُ سَيَتِمُّ تَسْلِيمُهُ، كَمَا أَنَّهُ يَعِي أَنَّ بُطْرُسَ سَيُنْكِرُهُ عَلَنًا. وَهَذَا كُلُّهُ يَخْرُجُ إِلَى الْعَلَنِ لَدَى الْإِحْتِفَالِ بِالْعِشَاءِ الْآخِرِ.

لَكِنْ نَمَّةَ كَلِمَةً هُنَا فِي النَّصِّ أُرِيدُ التَّوَقُّفَ عِنْدَهَا لِبَعْضِ الْوَقْتِ، حِينَ جَاءَ: "وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ". خِلَالَ خِدْمَةِ يَسُوعَ تَمَّتِ الْإِشَارَةُ مَرَّاتٍ عِدَّةٌ إِلَى سَاعَتِهِ، وَهُوَ قَالَ فِي إِحْدَى الْمُنَاسَبَاتِ: "لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ". الْإِشَارَةُ إِلَى تِلْكَ السَّاعَةِ تَنْقَسِمُ إِلَى شَقَيْنِ: يُوجَدُ أَوَّلًا الشُّقُّ الْقَائِمُ وَالْمُرُوعُ لِهَذِهِ السَّاعَةِ، السَّاعَةُ الْأَكْثَرُ فُتُومًا حِينَ سَيَتِمُّ صَلْبُهُ. لَكِنَّهُ يَتَطَّلَعُ أَيْضًا إِلَى مَا بَعْدَ تِلْكَ السَّاعَةِ، إِلَى سَاعَةِ تَمَجِيدِهِ.

لَكِنِ الْآنَ، سَاعَةُ الْأُزْمَةِ وَشَيْكَةٌ. وَهُوَ أَدْرَكَ أَنَّ سَاعَاتِ حَيَاتِهِ فِي الْجَسَدِ مَعْدُودَةٌ. تَذَكَّرُوا أَنَّ الْاِحْتِفَالَ بِعِشَاءِ الرَّبِّ الَّذِي يُنْشِئُهُ يَسُوعُ هُنَا تَمَّ قَبْلَ أَقَلِّ مِنْ ٢٤ سَاعَةً مِنْ مَقْتَلِهِ. إِذَا، بَعِيدًا عَنْ حَيَاتِهِ فِي مَرَحَلَةٍ مَا بَعْدَ الْقِيَامَةِ، كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ الْأَخِيرَةَ لِحَيَاتِهِ فِي الْجَسَدِ عَلَى الْأَرْضِ. وَهُوَ كَانَ يَشْتَهِي بِشِدَّةٍ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةَ أَنْ يَحْتَفِلَ بِالْفِصْحِ مَعَ تَلَامِيذِهِ.

إِذَا، قَامَ بِتِلْكَ الْاِسْتِعْدَادَاتِ لِيَجْمَعَهُمْ فِي الْعُلْيَةِ بُغْيَةَ الْاِحْتِفَالِ بِالْفِصْحِ. تَذَكَّرُونَ لِمَاذَا كَانَ هَذَا الْاِحْتِفَالُ مُهِمًّا جَدًّا بِالنَّسْبَةِ إِلَى الشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ مَا جَعَلَ اللَّهُ يَأْمُرُهُمْ بِحِفْظِهِ كُلِّ سَنَةٍ حَتْمًا. لِأَنَّهُ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ، كَانَ الْفِصْحُ يُحْيِي ذِكْرَى عَمَلِ اللَّهِ الْفِدَائِيِّ حِينَ حَلَّصَ شَعْبَهُ فِي وَقْتِ الْخُرُوجِ. تَذَكَّرُونَ الضَّرْبَاتِ الْعِدَّةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمِصْرَ، وَالْأَمْرَ الَّذِي أَصْدَرَهُ بِحَقِّ فِرْعَوْنَ حِينَ قَالَ: "أَطْلِقْ شَعْبِي". أَطْلَقَهُمْ لِيَخْرُجُوا إِلَى الْبَرِّيَّةِ صُعُودًا إِلَى الْجَبَلِ لِكَيْ يَعْبُدُونِي هُنَاكَ.

وَالضَّرْبَةُ الْأَخِيرَةُ، وَالْأَسْوَأُ طَبْعًا، كَانَتْ دَيْنُونَةُ اللَّهِ النَّازِلَةَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَمِصْرَ، أَلَا وَهِيَ دَبْحُ أَبْكَارِهِمُ الدُّكُورِ، لَيْسَ فِي عَائِلَاتِهِمْ فَحَسْبُ بَلْ فِي مَوَاشِيهِمْ أَيْضًا. إِذَا، عَيَّنَ اللَّهُ مَلَكَ الْاِنْتِقَامِ، مَلَكَ الْمَوْتِ، لِيَأْتِيَ وَيَجْلِبَ الْمَوْتَ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ وَعَلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ. لَكِنَّهُ قَامَ بِالتَّدَابِيرِ اللَّازِمَةِ لِيَصُونَ حَيَاةَ شَعْبِهِ وَأَبْنَائِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ. تَعْرِفُونَ مَا فَعَلَهُ. أَعْطَى تَعْلِيمَاتٍ تُحْتَمُّ عَلَى كُلِّ عَائِلَةٍ اخْتِيَارَ حَمَلٍ بِلا عَيْبٍ، وَدَبْحَ ذَلِكَ الْحَمَلِ، وَأَخَذَ دَمَ ذَلِكَ الْحَمَلِ وَجَعَلَهُ عَلَى قَوَائِمِ الْأَبْوَابِ، بِحَيْثُ إِنَّهُ حِينَ يَأْتِي مَلَكَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ يَرَى دَمَ الْحَمَلِ مَرْشُوشًا عَلَى إِطَارِ الْأَبْوَابِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ هَذَا بَيْتُ إِنْسَانٍ يَهُودِيٍّ فَيَعْبُرُ عَنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ. وَبِالتَّالِي، فَإِنَّ الْمُقِيمِينَ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ يَنْجُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ اللَّهِ. وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ نَتِيجَةُ ذَلِكَ حَدَثٍ أَعْظَمَ عَمَلٍ فِدَاءٍ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، حَيْثُ إِنَّ اللَّهَ صَانَ حَيَاةَ أَوْلَادِهِ ثُمَّ أَنْقَذَهُمْ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ وَمِنْ الْعُبُودِيَّةِ فِي مِصْرَ، وَفَرَزَهُمْ بَعْدَ الْخُرُوجِ وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً مُقَدَّسَةً لَهُ، قَائِلًا: "وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا".

إِذَا، كُلِّ سَنَةٍ، كَانَ يَتِمُّ الْاِحْتِفَالُ بِعِيدِ الْفِصْحِ فِي كُلِّ بَيْتٍ. وَكَانَ عَلَى الْأَبِّ أَنْ يُفَسِّرَ لِأَبْنَائِهِ سَبَبَ اِحْتِفَالِهِمْ بِعِشَاءِ الْفِصْحِ. كَمَا قُلْتُمْ، أَوَّلَ هَدَفٍ مِنَ الْفِصْحِ كَانَ الْاِحْتِفَالُ بِأَمْرٍ تَمَّ فِي الْمَاضِي. كَانَ دَعْوَةً لِإِحْيَاءِ ذِكْرَى. لَا تَنْسُوا كَيْفَ أَنِّي فَدَيْتُكُمْ مِنْ يَدِ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ خِلَالِ دَمِ حَمَلِ الْفِصْحِ.

لَكِنَّ هَذَا الْاِحْتِفَالُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الْوَرَاءِ فِي الزَّمَنِ فَحَسْبُ، بَلْ مِنْ حَيْثُ عِنَايَةُ اللَّهِ كَانَ يَتَطَلَّعُ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ، إِلَى الْفِصْحِ الْأَخِيرِ، إِلَى الْفِصْحِ الْكَامِلِ، حِينَ يَتِمُّ دَبْحُ حَمَلِ الْفِصْحِ الْكَامِلِ مَا يَحْتَمُّ نِظَامَ تَقْدِيمِ الدَّبَائِحِ مَرَّةً وَإِلَى الْأَبَدِ. بِحَيْثُ إِنَّهُ يَدَمُ هَذَا الْحَمَلِ يَحْتَبِرُ الشَّعْبَ خُرُوجًا أَعْظَمَ. وَلَيْسَ بِسَاطَةِ خُرُوجًا مِنْ عُبُودِيَّةِ فِرْعَوْنَ، بَلْ مِنْ عُبُودِيَّةِ الشَّيْطَانِ بِحَدِّ دَاتِهِ، مِنْ عُبُودِيَّةِ الْمَوْتِ. لِأَنَّ هَذَا الْخُرُوجَ يُدْخِلُ شَعْبَهُ حَرْفِيًّا إِلَى أَرْضِ الْمَوْعِدِ فِي السَّمَاءِ، إِلَى أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، إِلَى الْهَيْكَلِ السَّمَاوِيِّ.

إِذَا، جَمَعَ يَسُوعُ تَلَامِيذَهُ فِي الْعُلْيَةِ. وَبَيْنَمَا كَانَ يَحْتَفِلُ بِالْفِضْحِ، بَيْنَمَا كَانَ يُمَارِسُ طُقُوسَ الْفِضْحِ، غَيَّرَهَا. وَأَيْمَنُكُمْ أَنْ تَتَخَيَّلُوا كَمْ كَانَ مِنَ الْمُهَمِّ لِأَيِّ يَهُودِيٍّ بَعْدَ إِقَامَةِ عِيدِ الْفِضْحِ أَنْ يَتَجَرَّأَ عَلَى تَغْيِيرِ الطُّقُوسِ. الشَّخْصُ الْوَحِيدُ فِي الْعَالَمِ الَّذِي كَانَ يَتَمَتَّعُ بِالسُّلْطَانِ لِلْقِيَامِ بِتِلْكَ التَّغْيِيرَاتِ الْجُذْرِيَّةِ فِي الطُّقُوسِ كَانَ يَسُوعُ نَفْسَهُ، لِأَنَّ الْفِضْحَ كَانَ يَتَعَلَّقُ بِهِ. إِنَّهُ هُوَ حَمَلُ الْفِضْحِ. إِنَّهُ هُوَ مَنْ مَنَحَهُ اللَّهُ السُّلْطَانَ لِيعْطِيَ مَفْهُومًا جَدِيدًا وَمَعْنَى جَدِيدًا لِفَرِيضَةِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ هَذِهِ إِذَا جَارَ التَّعْيِيرُ.

يُمْكِنُنِي أَنْ أَضِيفَ أَيْضًا قَبْلَ أَنْ نَدْرُسَ تِلْكَ التَّغْيِيرَاتِ فِي الطُّقُوسِ، أَنَّ مَا كَانَ يَحْدُثُ هُنَا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِعَمَلِ الْمَسِيحِ، لَيْسَ مُجَرَّدَ تَتْمِيمٍ لِلْفِضْحِ، لَكِنَّهُ نِهَائِيَّةُ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. فِي تِلْكَ الْعُلْيَةِ وُلِدَتْ كَنِيسَةُ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. يَظُنُّ مُعْظَمُ النَّاسِ أَنَّ الْكَنِيسَةَ وُلِدَتْ يَوْمَ الْحَمْسِينَ. أَنَا لَا أَعْتَقِدُ ذَلِكَ. أَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ الْكَنِيسَةَ وُلِدَتْ فِي الْعُلْيَةِ حِينَ أُنشَأَ يَسُوعُ الْعَهْدَ الْجَدِيدَ. وَحِينَ كَانَ يَتِمُّ إِنْشَاءُ الْعُهُودِ، كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْمُصَادَقَةِ عَلَيْهَا بِالْدَمِّ. وَالْمُصَادَقَةُ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي أُنشَأَهُ يَسُوعُ فِي الْعُلْيَةِ تَمَّتْ بَعْدَ ظَهْرِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِي، حِينَ تَمَّتِ الْمُصَادَقَةُ عَلَى الْعَهْدِ بِدَمِّ يَسُوعِ.

إِذَا، هُوَ أَعْلَنَ هَذَا الْعَهْدَ الْجَدِيدَ بَعْدَ أَنْ أَحَدَ الْخُبْرَ، وَغَيَّرَ مَعْنَى الْخُبْرِ عَبْرَ الْقَوْلِ "هَذَا هُوَ جَسَدِي". ثَمَّةَ جَدَلٍ لَا يَنْتَهِي بِشَأْنِ مَا قَصَدَهُ يَسُوعُ بِقَوْلِهِ: "هَذَا هُوَ جَسَدِي". هَلْ قَصَدَ الْقَوْلُ إِنَّهُ وَالْخُبْرَ وَاحِدٌ؟ هَلِ الصِّيغَةُ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا هِيَ صِيغَةُ تَمَثُّلٍ؟ أَيْ أَنَّ هَذَا الْخُبْرَ مُطَابِقٌ لِجَسَدِي. ثَمَّةَ أَنَا كَثُرُ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ. اتَّخَذَ لُوَثْرُ مَوْقِفًا فِي الْجِدَالَاتِ وَالْمُنَاقَشَاتِ بَيْنَ الْمُصْلِحِينَ بِشَأْنِ مَا إِذَا كَانَ الْخُبْرُ هُوَ حَرْفِيًّا جَسَدُ الْمَسِيحِ. عَلَى غِرَارِ "نِيكِيْتَا كَرُوشِيف" فِي الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ، صَرَبَ لُوَثْرُ عَلَى الطَّالِوَةِ قَائِلًا: "هُوكُ إِيَسْتُ كُورْبُوسُ مِيَوْمَ"، "هُوكُ إِيَسْتُ كُورْبُوسُ مِيَوْمَ"، هَذَا هُوَ جَسَدِي. كَانَ الْكُلُّ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا مَا قَالَهُ، لَكِنَّهُ قَالَ أَيْضًا: "أَنَا هُوَ الْبَابُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَدْخُلَ بِهِ الْجَمِيعُ". وَلَمْ يَعْتَبِرْ أَحَدٌ أَنَّ هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يَجِبُ مُطَابَقَةُ يَسُوعَ حَرْفِيًّا بِالْبَلُوطِ وَالْقَشِيرَةِ الْحَشِيَّةِ وَمَقَابِضِ الْأَبْوَابِ وَالْمُفَصَّلَاتِ. أَنْتُمْ تُدْرِكُونَ حَتْمًا أَنَّ اسْتِعْمَالَ الضَّمِيرِ "هُوَ" كَثِيرًا مَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْنِيَ أَيْضًا "هَذَا يُمَثِّلُ". وَحِينَ تُمَارِسُ طُقُوسًا مَا، وَيَأْخُذُ يَسُوعُ غُنْصَرًا كَانَ يَرْمُزُ لِأَمْرٍ مَا فِي الْمَاضِي، وَهُوَ يُشِيرُ الْآنَ إِلَى أَنَّهُ يَرْمُزُ لِأَمْرٍ جَدِيدٍ، أَيْ عَدَمَ تَقْدِيمِ حَمَلِ الْفِضْحِ كَمَا فِي الْقَدِيمِ بَلْ تَقْدِيمِ جَسَدِهِ وَحَيَاتِهِ.

ثُمَّ قِيلَ لَنَا إِنَّهُ بِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا، بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلُوا الْعِشَاءَ، أَخَذَ الْكَأْسَ. شَرِبُوا الْكَأْسَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي الْفِضْحِ. فِي هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ غَيَّرَ يَسُوعُ الطُّقُوسَ مُجَدَّدًا وَقَالَ: "هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَيْي الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ مَغْفِرَةِ خَطَايَاكُمْ. كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْرَ، وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِي إِلَى أَنْ أَجِيءَ". مِنَ اللَّافِتِ أَنَّهُ فِي الْكَنِيسَةِ الْأُولَى، كَانَ الْمَسِيحِيُّونَ يَجْتَمِعُونَ أُسْبُوعِيًّا وَيَحْتَفِلُونَ بِفَرِيضَةِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ هَذِهِ. لَيْسَ مَرَّةً فِي السَّنَةِ فَحَسْبُ، بَلْ مَرَّةً فِي الْأُسْبُوعِ. لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَفْهُومِ أَنَّ الْأَمْرَ مُهِمًّا جَدًّا فِي إِعْلَانِ، وَفِي إِظْهَارِ أَهْمِيَّةِ الصَّلِيبِ وَالْعَهْدِ الْجَدِيدِ

وَالْحَمَلِ الْمَدْبُوحِ، الْحَمَلِ الَّذِي بِلا عَيْبٍ، ذَبِيحَةِ حَمَلِ الْفِصْحِ الْكَامِلَةِ. لِذَا نَحْنُ نَحْتَفِلُ كُلَّمَا اجْتَمَعْنَا فِي الْكَنِيسَةِ وَنَسْتَمْتِعُ بِعِشَاءِ الرَّبِّ.

أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْكِنَائِسَ مُنْقَسِمَةً بِشَكْلِ مَبْذُورٍ مِنْهُ فِي فَهْمِهَا لِمَا يَحْدُثُ أَثْنَاءَ الْاِحْتِفَالِ بِعِشَاءِ الرَّبِّ. وَالْحِدَاثَاتُ لَيْسَتْ طَوِيلَةً وَمُسَهَبَةً فَحَسْبُ، بَلْ يُمَكِّنُ لَهَا أَنْ تُصْبِحَ لِادْعَةٍ لِأَنَّ الْحَمَاسَةَ كَبِيرَةً جِدًّا. الْكُلُّ يَفْهَمُ أَنَّ مَا نَفْعَلُهُ هُنَا مُهِمٌّ جِدًّا. إِذَا، مَا الَّذِي يَحْدُثُ فِعْلِيًّا؟ مَا عِلَاقَةُ يَسُوعَ بِالْأَمْرِ؟

فِي الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ، وَضَعَتِ الْكَنِيسَةُ عَقِيدَةَ التَّحْوِيلِ. أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِهَا. وَعَقِيدَةُ التَّحْوِيلِ تُعَلِّمُ بِبَسَاطَةٍ أَنَّهُ خِلَالَ مُعْجِزَةِ الْقُدَّاسِ، الْجَسَدِ، عُدْرًا الْخُبْزِ وَالْحَمْرُ، عُنْصُرَا الْخُبْزِ وَالْحَمْرِ يَتَحَوَّلَانِ إِلَى جَوْهَرِ جَسَدِ الْمَسِيحِ وَدَمِهِ، بِحَيْثُ إِنَّ يَسُوعَ بِجَسَدِهِ الْمَادِّيِّ يَكُونُ مَوْجُودًا فِي الْجَسَدِ وَالدَّمِ، اسْتِنَادًا إِلَى أَرِسْطُو الَّذِي قَالَ إِنَّ: "لِكُلِّ شَيْءٍ جَوْهَرًا وَأَعْرَاضًا". وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بِذَلِكَ أَعْرَاضًا مَرَضِيَّةً بَلْ يُشَارُ بِالْأَعْرَاضِ إِلَى الصِّفَاتِ الْخَارِجِيَّةِ الَّتِي يُمَكِّنُ إِدْرَاكَهَا لِشَيْءٍ مَا. مِعْظَمِي أَرْزُقُ، وَذَلِكَ الْأَرْزُقُ هُوَ صِفَةٌ خَارِجِيَّةٌ لِلْمِعْظَمِ.

إِذَا، اسْتَعْمَلْتُ رُومًا الْفِكْرَةَ وَالتَّمْيِيزَ الْأَرِسْطُونِيَّ، وَأُصْدِرْتُ هَذِهِ الصِّيغَةَ وَهِيَ أَنَّهُ أَثْنَاءَ الْمُعْجِزَةِ إِنَّ الْخُبْزَ وَالْحَمْرَ، جَوْهَرِ الْخُبْزِ وَالْحَمْرِ، يَتَحَوَّلُ إِلَى جَوْهَرِ جَسَدِ الْمَسِيحِ وَدَمِهِ، لَكِنَّ أَعْرَاضَ الْخُبْزِ وَالْحَمْرِ تَبْقَى نَفْسَهَا. مَا يَعْنِي أَنَّ الْخُبْزَ يُحَافِظُ عَلَى شَكْلِهِ وَيُحَافِظُ عَلَى مَذَاقِهِ. إِنَّ أَوْقَعْتَهُ عَلَى الْأَرْضِ هُوَ يُصْدِرُ صَوْتًا كَالْخُبْزِ وَيَبْدُو كَالْخُبْزِ. وَلِجَمِيعِ الْخَوَاسِ الَّتِي يُمَكِّنُ إِدْرَاكَهَا فَهوَ يَبْدُو خُبْزًا، لِأَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِصِفَاتِ الْخُبْزِ الظَّاهِرِيَّةِ. لَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ خُبْزًا، إِنَّ جَوْهَرَهُ وَخُلَاصَتَهُ هُوَ جَسَدُ الْمَسِيحِ وَدَمُهُ.

اعْتَبَرْتُ لَوْثَرُ أَنَّ الْأَمْرَ يَتَطَلَّبُ مُعْجِزَاتٍ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ، وَأَنَّهُ تَافَهُ نَوْعًا مَا. فَعَدَّلَ الْأَمْرَ قَائِلًا: "لا، الْمَسِيحُ حَاضِرٌ فِي الْعَنَاصِرِ وَتَحْتَهَا وَغَيْرَهَا، لَكِنَّ لَا تَغْيِيرَ فِي الْجَوْهَرِ وَالْأَعْرَاضِ عَلَى هَذَا التَّحْوِيلِ". لَكِنَّ الْعَقِيدَتَيْنِ تُشَدِّدَانِ عَلَى حُضُورِ الْمَسِيحِ الْحَقِيقِيِّ وَالْمَادِّيِّ فِي الْعِشَاءِ الْأَخِيرِ. بِالطَّبَعِ، وَاجَهَ كَالْفِينِ مُشْكَلَةً كَبِيرَةً فِي الْأَمْرِ. رُجُوعًا إِلَى مَجْمَعِ خَلْقِيدُونِيَّةِ لِلْكَنِيسَةِ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ فِي الْعَامِ ٤٥١، حِينَ أُعْلِنَتِ الْكَنِيسَةُ أَنَّهُ فِي سِرِّ التَّجَسُّدِ تُوجَدُ الطَّبِيعَتَانِ. اجْتَمَعَتِ الطَّبِيعَتَانِ الْإِلَهِيَّةُ وَالْبَشَرِيَّةُ فِي وَحْدَةٍ كَامِلَةٍ. بِحَيْثُ إِنَّ تِلْكَ الْوَحْدَةَ كَانَتْ بِلا خَلْطٍ أَوْ التَّبَاسِيسِ أَوْ فَضْلِ أَوْ تَفْرِيقٍ، عَلَى أَنْ تُحَافِظَ كُلُّ طَّبِيعَةٍ عَلَى صِفَاتِهَا الْخَاصَّةِ. مَا يَعْنِي الْقَوْلَ إِنَّهُ فِي التَّجَسُّدِ لَمْ تَوَلَّ طَّبِيعَةُ يَسُوعَ الْبَشَرِيَّةُ. حَافِظَتِ الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ عَلَى صِفَاتِهَا الْبَشَرِيَّةِ، كَمَا حَافِظَتِ الطَّبِيعَةُ الْإِلَهِيَّةُ عَلَى صِفَاتِهَا الْإِلَهِيَّةِ. إِذَا، يُمَكِّنُ لِلطَّبِيعَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَنْ تَكُونَ فِي بَيْتْسَبْرُغِ وَشِيكَاغُو وَبُوسْتُونِ وَأُورَلَانْدُو فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، لَكِنَّ لَيْسَ الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ. الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ مَحْدُودَةٌ مِنْ حَيْثُ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ بِالتَّقْيِيدَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

فَسَرَتْ رُومًا ذَلِكَ، كَمَا فَعَلَ لُوثَرُ، بِعَقِيدَةِ نَقْلِ الصِّفَاتِ، أَيْ أَنَّ جَسَدَ يَسُوعَ -جَسَدَهُ الْبَشَرِيَّ- قَادِرٌ أَنْ يَتَوَاجَدَ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْأَمَاكِنِ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ الْإِلَهِيَّةَ تَنْقُلُ قُوَّةَ الْوُجُودِ الْمَطْلَقِ، أَوْ كَلِّيَّةَ الْوُجُودِ إِلَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ. أَنَا مُفْتَنِعٌ بِأَنَّ هَذَا انْتِهَاكَ خَطِيرٌ لِمَجْمَعِ خَلْقِيْدُونِيَّةِ، وَهُوَ يُمَثِّلُ النَّظْرَةَ الدُّوسِيْتِيَّةَ لِيَسُوعَ، وَيَقْضِي تَمَامًا عَلَى حَقِيقَةِ طَبِيعَةِ الْمَسِيحِ الْبَشَرِيَّةِ.

نَحْنُ نُؤْمِنُ فِي كَنِيْسَتِنَا بِأَنَّ يَسُوعَ حَاضِرٌ فِعْلًا، لَكِنَّهُ حَاضِرٌ بِطَبِيعَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ. طَبِيعَتُهُ الْإِلَهِيَّةُ غَيْرُ مُنْفَصَلَةٍ عَنِ طَبِيعَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ. الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةُ مَوْجُودَةٌ فِي السَّمَاءِ، كَذَلِكَ أَيْضًا الطَّبِيعَةُ الْإِلَهِيَّةُ، لَكِنَّ الطَّبِيعَةَ الْإِلَهِيَّةَ مَوْجُودَةً هُنَا أَيْضًا. نَحْنُ مُرْتَبِطُونَ بِيَسُوعَ بِكَلِّيَّتِهِ بِمُوجِبِ حُضُورِ الطَّبِيعَةِ الْإِلَهِيَّةِ. إِذَا، إِنَّهُ هُنَا. قَالَ آخَرُونَ، وَحَاوَلُوا عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ دَحْضَ جَمِيعِ تِلْكَ النَّظَرِيَّاتِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ هَذَا كُلُّهُ مُجَرَّدُ رَمَزٍ، وَأَنَّ الْفَرِيضَةَ بِبَسَاطَةٍ تُمَثِّلُ يَسُوعَ. وَلَا يُوْجَدُ أَيُّ حُضُورٍ إِلَهِيٍّ أَوْ فَائِقٍ لِلْمَسِيحِ فِي الْفَرِيضَةِ.

لَكِنَّ هَذِهِ الْجِدَالَاتِ تَسْتَمِرُّ إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ. لِأَنَّ الْكَنِيْسَةَ تُدْرِكُ أَنَّ يَسُوعَ، وَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي سَبَقَتْ مَمَاتَهُ، حِينَ احْتَفَلَ بِالْفِصْحِ لِلْمَرَّةِ الْآخِرَةِ، كَانَ يَنْوِي تَمَامًا إِنْشَاءَ فَرِيضَةٍ تُعْنِي كَنِيْسَتَهُ وَتَجْعَلُ شَعْبَهُ يَتَدَكَّرُ مَا حَقَّقَهُ، عَبْرَ تَقْدِيمِ تِلْكَ الذَّبِيحَةِ الْكَامِلَةِ، وَعَبْرَ كَوْنِهِ الْحَمَلِ الَّذِي بِلَا عَيْبٍ. لَكِنَّهُ أَيْضًا كَانَ يَتَصَوَّرُ بِشَوْقٍ الْوَلِيْمَةَ النَّهَائِيَّةَ فِي السَّمَاءِ، فِي وَلِيْمَةِ عُرْسِ الْحَمَلِ، حِينَ نَجْلِسُ مَعَهُ أَمَامَ مَائِدَةِ أَبِيهِ فِي السَّمَاءِ. إِذَا، لَمْ يَسْمَحْ يَسُوعَ بِأَنْ يُؤْخَذَ، وَلَمْ يَسْمَحْ بِأَنْ يَأْتِيَ الْجُنُودُ سَرِيْعًا لِيُقَاطِعُوا أَوْ يُحْبِطُوا عَمَلِيَّةَ إِنْشَاءِ هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْأَهْمِّ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيَرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيْسَةِ الْقِدِّيسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلْإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُلُّنَا لَاهُوتِيُون" (Everyone's A Theologian).